كانَ أولُ حبٍّ لي
فأصبحتُ ضحيتَه

الإهداء:

إلى أولئك الذين تجرعوا ألم الفراق،

إلى أولئك الذين أحبوا بكل صدق ولم يكن هذا الحب سوى كذبة سيئة جداً

إليك يا قمري، إليك كل الكلمات التي باتت في جوفي حين وصلتني رسالتك تلك، التي لم أستطع أن أُجيب عليها ها أنا أكتب لك،

مع كل حرف أكتبه أتمنى أن تفهم معنى أن تترك شخصًا وثق بك

حياةً مجهولة، أشخاص لا نعلم إن كانوا جيدين

أم سيئين، يذهبون أشخاص ويأتون آخرين إلى متى؟!
لا نعلم، فقط نمضي بصمتٍ وهدوء. أحببنا أشخاص لم يستحقوا هذا الحب، كسرونا وخذلونا، جعلونا لا نثق بأحد، لا أعلم كيف يستطيعون إكمال حياتهم

وكأنهم لم يفعلوا شيئًا، أعترف لقد تركني ورحل إلى الأبد، لقد كان قلبي، قلبي الذي لم أُعطِه لأحد أعطتُكَ إياه وكسرته، ألم أُخبركَ بأني لا أريد أن أحب شخصًا يتركني لوحدي.

أخبرتني أن الحب ينتهي بسعادة، أخبرني الآن أين السعادة في هذا الحب، جعلتني أصدق كل كلمة تقولها، جعلتني أحب اِهتمامك بي، رغم أني كنت أرفض كل هذا ولكنك جعلتني أحبك وأحب كل ما يتعلق بك،

أنت قتلت قلبي..

دائمًا ما كنت أكتب عنك، واليوم سأكتب عن خيبتي الكبيرة بك التي كنت أعلم بها، ولكني تجاهلت الأمر..

أتذكر عندما قلت لي أنكَ تكره الكذب فلماذا كذبت، قلت بأنه أبغض الأشياء عند الله، فلماذا أغضبت ربك منك؟! أنت تظن أنك كذبت وانتهى كل شي بكذبة، لكنك كسرت قلبًا ليس له أحد؛ كي يجبره سوى رب العالمين. كنت تعلم أن لدي أبًا لا يعلم أين أنا وماذا

أفعل، كنت تعلم أن ليس لدي أبًا حنون أشكو له حزني، وعن قسوة الحياة؛ لأن أبي يفضل النقود بدلاً عني لذا؛ فهو في كل مرة لا يختارني ولا يسأل عني أو حتى يقول لي: كيف حال ابنتي! ليته يقولها من قلبه.

ليس لدي أخًا كبيرًا؛ كي يكون سنداً أستندُ إليه عند الشدائد، وأنت تعلم بهذا ومع ذلك كسرتني وذهبت، لكنك قد لا تتذكر أنني قوية كفاية.

تحملت كل شيءٍ بمفردي وأستطيع تحمُّلَ الأكثر؛ فأنا قويةٌ بك وبدونكَ أيضًا. كسرك لي لم يكن سوى تجربة فاشلة لذا سأخبرك ما هو شعور هذا الكسر!..

ماذا لو أخبرتك بأنك خطأي الوحيد الذي أحاول تصحيحه كل يوم، وأدفع ثمن كل ما قدمته لك من حب، ماذا لو رأيت قلبي وهو يحاول جاهداً على أن ينساك ويكرهك كما فعلت أنت، وبعقلي الذي لا يكف عن تذكيري بك، وبتلكَ الأيام التي مررنا بها من عمري، ماذا لو رأيت نفسك بعين قلبي كيف بدوت لي الآن بعد تلك الأيام الجميلة! من قال بأنَّي أنتظرك لتعود لي؟ من قال بأن العوده خيارًا متاحًا لك لتعود من جديد!.

كيف لك أن تنام مطمئن وهناك من تأذى بسببك!.

أبكاني حديث أمي ذات يومٍ عندما ذكّرتني بك وبأني واجهتُها من أجلك، لكنكَ خذلتني!..

قبل عام كان كل شيء مختلف، لم أكن لأتصور نفسي هكذا، اليوم وبعد أن نظرت للخلف أدركت أن عامًا واحدًا يمكنه أن يفعل الكثير لشخص، عامًا واحدًا فعل بي الكثير والكثير، لقد تركت أغلا رفاقي وأعزُّ أحبابي، تركتُ الجميع، حتى قلبي لقد خسرته هذا العام أيضًا، لقد كان كفيل بجعلي شخصًا آخر، مختلفًا تمامًا عمَّا كنتُ عليه،

كيف أخبرك أنك ستتذكرني لن تستطيع نسياني مهما فعلت، كيف أخبرك أنه من الآن لن تراني لسنوات وإني حين أرحل الآن لن أعود بعد بضعة أيام كما تظن، لن أعود أبداً.

ما هو شعورك الآن وأنت قد كسرت فتاةٌ لم يحبها والدها في حياته، ولم تحضى بحنانه مطلقًا، ولم يكن لها سند وأمان على على العكسِ تمامًا.

هل كان هذا ممتعٌ بالنسبةِ لك؟!

كيف اِستطعتَ أن تنظر إلى عيناي وأنت كاذب؟!

كيف استطعتَ أن تجعل تلكَ اللمعة في عيناك عندما تراني، كذبة؟! لا أستطيع تصديق أن كل ما حدث مزيف..

ما كان ذنب قلبي كي تفعل بهِ كل هذا؟!..

في لحظة كنتُ أرفض بها الحب جئت أنت لتقلب موازيني زال خوفي بك ووقع قلبي فيك، وبلحظة.....

إنقلبت جميع الموازين، تركتني تائهه أتسائل ما كان ذنب قلبي كي تتركه وحيد؟ لقد ذرف قلبي الدمع قبل عيناي وبكيت لياليَّ وحدي، لم أوثق بأحد كما وثقتُ بك، أعطيتك قلبي رغم خوفي من استسلامك وتركهُ وحيد، هل كان يجدر بك أن تكسرني، وكأنني أخبرتك بما يؤلم قلبي؛ فعاقبتني به دون أن تنظر إلى وراك..

بين حبات المطر الغزير أتمنى لو كنت قطرةَ مطر، ينتظرني الجميع فآتِ وأسعدهم وأسقط وإنتهي وينتهي كل شيءٌ معي، كل شي ينتهي فقط بقطرة. أخطوا بين العابرين أشعر وكأني وحيد رغم هذا العالم الصاخب، رغم هدوء المارين من حولي وصوت المطر، لا أسمع أصواتهم فذلك الصوت بداخلي أكبر من أيَّ صوتًا على الإطلاق، أخطوا ما بين الطرق المبلّله بحباتِ المطر، نظرتُ إلى يساري فرأيت ذلك المكان الذي نحب أن نأكل منه ذلك البائع أجزم أنه يرى انكساري بك، بعدما كان يرى انتصاري بك، اليوم ها هو يرى بؤسي الشديد. مضيت بصمتٍ دون أن أتفوه بأيَّ كلمةً واحدة، فقط أردت أن أذهب إلى المنزل دون أن أتذكرك، ولكني سلكتُ الطريق الخطأ، ذلك الطريق الذي سلكته كل ما به يذكرني بك، نظرتُ أمامي أنه ذلك المكان! نظرت إليه برهّه، تذكرت حينها أول لقاء جمعني بك، وتلك الأيام التي جمعتني بك وكيف كان حديثنا..

أتذكر ذلك اليوم وتلك الساعة أيضًا، أخفضت قبعة جاكيتي ومضيت وحباتِ المطر تبلِّلُني، كنت أرفض أن أتذكرك ولكنني تذكرتكَ فعلًا!

رباه ما كان حكم الأقدار! لماذا جمعتني به وهو سيرحل، قلبي لا يزال يتألم، هذا الألم منه لا يزول..

أحدهم ذكر اسمك والجميع نظر لي بسخريَّه، نعم بسخرية؛ فأنا راهنت على بقائك وخذلتني.. هل تعلم حجم هذا الألم؟! أن تراهن على شخص بكل ما لديكَ من قوة، وبكل ما فيك من حياة وحب.

أن تدفع ثمن عمرك؛ لأنك واثق بعدم خذلانه لك، ثم يخذلك ويكسرك بكل تلك القوه التي راهنتُ عليها،

هل تعلم مدى الألم؟

لا تعلم لو كنت تعلم لما فعلت هذا بي!.

ما هو ذنبي!.

لماذا كذبت، لماذا تصنّعت كل هذا الحب؟ هل كان سهلًا عليك كسر قلب أحدهم؟! أن تجعله يكره هذا الحب، أن تجعل الحزن والخذلان في قلب شخص أحبَّكَ، قلب وثق بك جعلك مكانه الآمن، يستند عليك عندما يحتاج إلى أمان يحتويه من وحشةِ هذا العالم. أهكذا تجازيه! أهكذا هو الحب بالنسبةِ لديك!..

أعلم أنك لم تحبني كما فعلت أنا، قدمت كل ما بوسعي لنبقى معًا، ولكن الحب الذي قدمته لم يكن كافيًا، لم يكن كافيًا.. أنت تعلم بأني قضيت أجمل أيام العمر برفقتك، فقد كان الفرح يملئُ قلبي، أحببتُ الأمان الذي حضيته منك؛ فلم أشعر به من قبل، لم أحبك لسبب كما فعلت أنت.

رغم كل الحب الذي كنا نعيشه رغم وعودك بالثبات التي كلها كانت كاذبة، كنتُ أعلم أنني سأمضي في الطريق وحدي، وبأنكَ لن تكمل معي ذات الطريق الذي سلكته من أجلك، رغم أنه لم يكن طريقي ولا وجهتي، كنت أعلم أنني سأجيب عن كل الأسئلة وحدي، وأنك ستترك قلبي ويدي معًا، ومع ذلك لم أفرط في لحظة حب واحدة معك، ظنًا مني بأنَّ الحب يصنع المعجزات، ولكن لم يصنع المعجزة وإنما صنع كسرٍ وخذلان، أصبحت أكره الحب أضعاف ذي قبل، قبل أن تأتي أنت لم أحب الحب كنت أتفاداه دائمًا، قبل أن تأتي أنت وتخبرني بأنه جميل وتجعلني أراه من زاوية عالمك لا عالمي الخالي من الحب. لكنَّ عالمكَ يا عزيزي لم يكن سوى كذبة، وما زالت كذبة، ولا زلت أنا لا أستطيع تصديق أن ما حدث، وكل كلمة قلتها لي مجرد سراب، مجرد خدعه.

كم هو ذنبك عظيم لن أُسامحك،

خذلتَ عالمًا كاملًا، خذلت قلبًا بريءٌ من هذا الخداع!.

اقتباس:

كيف يمكن أن تشرح للغير أنكَ ما عدتَ تصلح للأحاديث اليومية السطحية؟ وأنك مستنزف لدرجة أنك تحتاج فسحه من الوحدة؛ كي ترمم ما دمرته الحرب التي بداخلك، كيف يمكن للجميع أن يحترموا أنكَ ما عدتَ قادراً على الإجابة عن سؤالٍ عاديّ، أو روتيني أو تجاذب أطراف حديثٍ طبيعي وتافه.

من يقنعني أننا انتهينا؟!..

أجلسُ في ذلك المقعد، هدوء الممر عكس ذلك الحرب والضجيج بداخلي الذي لا يهداء أبدًا، أنتظر أن اسمع اسمي، ثم أدخل إلى تلك الطبيبة النفسية الذي يظن الجميع بأنها تستطيع أن تعالجني، ولكن بربكم

كيف لها أن تشفي جراح والفراغ الذي تسببت به العائلة؟! وكيف لها أن تجبر كسر قلبي؟! ليتهم

يعلمون أنه لا يوجد لتلك الندوب علاج، ليتهم يعلمون أنه قلب وليس حجر!.

كيف حالك؟

-بخير، بخيرٌ جداً.

هل هي أزمه نفسيَّة، أم اجتماعية؟

-أجبتها بشرودٍ ملحوظ: لا هذه ولا تلك،

أشعر بأن كلمة أزمه واسعةُ المدى، ولها معاني كثيرة ليست مختصة بأشياءٍ محددة، بينما ما أشعر به وما أُعانيه أعمق من هذا، أشعر وكأنَّ هناك شيءٌ مختلف تمامًا عن تلكَ المسمّاة بالأزمة.

حسنًا، لنتحدث قليلاً.

-تفضلي بسؤالك لا داعي للمقدمات كباقي الأطباء النفسيين.

إذاً أنا لستُ أول طبيبةً تزورينها صحيح؟

-نعم، لستِ أول طبيبة، ولا آخر طبيبة، لا أعلم كم عدد الأطباء الذين زرتهم ولكن دون جدوى، لا أحد يستطيع أن يعالج كل ما في قلبي، ولا أحد يستطيع أن يوقف كل تلك الأصوات في رأسي، يعتقدون أنَّ كل جرح يوجد له علاج، يعتقدون بأن الدموع تريح القلب لذا الجميع يطلب مني أن أبكي لكنني لا أستطيع وكأنَّ هناك شيء يرفض أن تسقط دموعي من عيناي، رأسي لا يكفُّ عنِ التفكير في كل شيءٌ يحدث، وحتى لو لم يحدث أفكر فحسب وكأني خُلقت لهذا التفكير الذي لا ينتهي. يداهمني ذلك الصداع الشديد لا يتوقف أبداً، أظنه يستوقف عندما يتوقف قلبي.

لم تتفوَّه الطبيبة بأي كلمة، بعد بضعة دقائق قالت:

هل تريدين الحديث عن حياتك أعني عندما كنتِ طفلة، وعن عائلتك؟!

-كل شيءٌ كان طبيعي، رغم كل ما كنت أعيشه، دائمًا ما أشعر أنني وحدي وبأن كل شي عكسي تمامًا، لا أستطيع التحدث.. حسنًا لقد تعبت سأغادر، وداعًا.

تركتها أيضًا كما فعلت بباقي الأطباء؛ فبداخلي فراغٌ أكبر وأعمق مما تظنون لا شيء يستطيع أن يجعلني كما كنت في السابق، الجميع يظنُّ أن المرضى النفسيين هم من يأتون إلى العيادات، ولكن لم يأتوا بالفعل بل ضحاياها، وأنا كنت أحد تلك الضحايا؛ فأنا كنت ضحيَّة والدي وصديقي وأنتِ أيضًا.

كانت امرأة لا تؤمن بالحب ،

وبعد أن أحبت أصبحت امرأة لا تؤمن بالرجال.

عندما قلت لك أنني وبعد محاولاتٍ كثيرة أصبحت أثق بك، رغم كل ما عانيته وثقت بك، لقد كنتَ أملي الوحيد، لقد كانت آخر محاولاتي معك.

أوهمتني بأنك لا تستطيع أن تخونَ أي شخصًا قد وثق بك، وبأنك لا تستطيع تزييف مشاعرك، كل ما كنتَ تخبرني بأنك لا تفعله، وتكره من يفعله فعلته بقلبي.

صدقني لو كنت أخبرتني ما السبب لعذرتك لسامحتك، لكنك رحلت دون أن تترك لي سبباً واحداً! لم تترك شيء سوى رسالةٌ مزقت قاعُ قلبي..

أشيائك لدي وكل شيء أهدتني إياه ما زلتُ أحتفظ به، ليس حبًا ولا كرهًا، بل أعمق من هذا،أشعر بأني أريد نسيانك، وأريد أن أمحيك من ذاكرتي كما فعلت أنت بي. هل تعلم ما الذي يجعلني أحتار هو أن كل ما قدمته لي من حب كان كذبة، رغم إحساسك الصادق، وعيناكَ البريئة، كل شيءٌ ذهب سراب، لذا سأحاول أن أنساك، رغم أني لا أُريد نسيانك؛ فأنت أجمل ما حصل في حياتي وأسوى ما حدث أيضًا، لذا لا أريد أن أكرهك ولا أن أحبك، أعلم أنكَ ستضحك على غبائي هذا لكنني مشتّته كثيرًا كعادتي.

كم هو مؤلم الشعور بالوحدة، حتى وإن كنتَ بين آلافِ البشر، قد تشعر أنكَ وحيدٌ رغم أنهم حولك ويجلسون دائمًا إلى جوارك، لكنهم بعيدين كل البعد عن قلبك وأنت كذلك بعيدٌ جداً عن قلوبهم، ربما أنت لا تنتمي إليهم. ما أصعب أن يكون المرء بداخله عالمه الخاص فقط، لا يتحدث مع أحد ليس بدافع أنه لا يريد الكلام؛ بل لأنه يعلمُ حتمًا أنه لا يوجد شخص يستمع إليه ويهتم لكلماته،

نحن نكتب ليس بدافع الملل، أو نريد الشُهره؛ بل لأن هناك كلماتٍ لم تقال، وحديث لم يظهر ضل غصَّةً في حلوقنا لم نستطع إبتلاعها؛ لأنها تبتلعنا في دائرتها السوداء المعتمة، التي تجعلنا عاجزين عن التحدث؛ فأصبحت أقلامنا هي مخرجنا الوحيد من هذا الكتمان، نحن المحكومين بالفهم الخطأ دوماً، نحن إما أن تثرثر عقولنا وتتعبنا وتنهش من عافيتنا،أو أن تثرثر أقلامنا إلى أن تتكسر أيادينا؛ فنحن لا نستطيع أن نتحدث، حتى أننا لا نجرح غيرنا كما جرحونا وإنما نجرح ذاتنا، نجرح ذاتنا كي نُطفئ تلك النار التي تحترق في

يسار صدورنا، ولا يهمنا ما سيحدث لجراحنا التي نفعلها بأنفسنا كي لا نؤذي غيرنا.

فصبراً جميل والله المستعان!

أمي....

أمي هل ستتركيني أنتي أيضاً كما فعل الجميع بي، حتى أبي تركني ورَحَل، وأنتِ ستفعلينَ كما فعلونَ بي في يومًا من الأيام كذلك!

هل سيأتي يومًا أحتاجكِ بقربي ولن تكونينَ معي رغم أنكِ ستكونين مثلهم تجلسين بجانبي فقط،

أمي أنتي الوحيدة التي تبقى لي في هذا العالم بأسرة لا تتركني أرجوكِ؛ فأنا لا أستطيع أن أحيا بدونكِ، كوني لي كل شيء، إجعليني لا أحتاج أحدٍ سواكِ، كوني صندوق أسراري، وصديقتي الصدوقة، كوني طبيبتي كي لا أحتاج أن أذهب إلى أطباء نفسيين بغير علمكِ، كوني لي عالمًا، وسندًا، وحضنًا يحتويني من وحشةِ هذا العالم،

أعلم وأنتِ تعلمين أنكِ لم تكونِ لي الحضن الدافئ، ولكني أحبكِ كثيراً،

أمي لا تتركيني كما فعل الجميع، أرجوكِ.

أصبحتُ أكره أن يهتم بي أحد، حتى أنني قد كرهت الإهتمام، أشعر وكأنه مؤقت وهو بالفعل مؤقت فكل من يهتم بي يرحل كالباقي.

أنا لم أكن متوحشةٌ معهم ولم أكن سيئة،

هم من كانوا يقتربون من جهتي المكسورة المحطمة فيتأذون ويدعون أنني جرحتهم، وأني قاسيةٌ جداً ولا أحبُّ أحد، ولكنهم لا يعلمون أنهم من جرحوا ذاتهم بأنفسهم وجعلوني أتألم بسببهم؛ فهم قد أصابوا جرحي بجرح جديد،

وكيف لي أن أُسامحهم فهم قد أَذوني كثيراً.

أنا لستُ خائفة من لقائك، ولستُ خائفة من مواجهتك، أنا لا أريد لُقياك لا أريد أن أُعاتبك ولا أريد حتى أن أنظر إلى ظلُّك، ولا إلى أي شيء يخصك؛ فكل شيء لك أصبحت لا أحبه، حتى تلك الأشياء التي أخبرتك أنني أحبها وأحببتها أكثر بقربك أصبحت لا أُطيقها، الغريب أنني كرهت كل ما يخصك وكل ما يتعلق بك وبي، لكنَّي لم أكرهك، أعلم أن الحياة أبخل من أن تُفرق شخصان قد برح بهما النفور، أعلم أنها سترتب لنا لقاء لا أُريده، الحياة تجعلنا نعيش ما لا نريد وما نكره أن نعيشه تجعلنا نعيشه، هكذا تأتي عكس ما نشاء.

هكذا هي الحياة تجعلنا مع تلك الظُروف، وتلك الأقدار التي لا نُريدها ولا نطيقها أبداً.

إلى الأيامُ القادمة:

كوني حنونة، كوني لنا أيامٍ جميلة نُسعد بها؛ فلا فراق يوجعنا، ولا حب يخدعنا.

كل ما هو حولي يذكرني بك لذا، قررت أن أُعطي لنفسي فرصة لانشغالي بأي شيء؛ كي لا أسمح لعقلي بتذكيري بك،

قررت أن أذهب كي أبد بالتسجيل، أن أُشغل ذاتي بالتعليم بعد أن أكملت الثانوية، أصبحتُ أشعر بالملل وأصبحتُ أتذكركَ مراراً.

ذهبت إلى المعهد، وأنا في الطريق توقفت حينها، رأيت سيارتك، نظرت إلى ذلك المكان، كنت أعلم أنكَ هناك، لم أكن أريد أن أُقابلك وكنت أعلم أنني أن واصلت الطريق سإلقاك لذا عدت من جديد إلى المنزل،

سألتني أمي لماذ عدتِ بسرعه؟

-كما تمنيت لو أنني لم أغادر المنزل يا أمي.

ماذا حصل يا ابنتي!

-لا شيء، أنا بخير، ولكن رأسي يؤلمني كثيراً.

ماذا حدث لكِ، هل قابلتي أباكِ.

- لا، لا أريد أن تذكرينني بذلك الرجل بعد الآن.

لكنه أباكِ ولا يمكن.....

-أمي يكفي أرجوكِ توقفي عن هذا الحديث، أنا متعبة سأذهب للنوم.

أغلقت باب غرفتي وأنا أعلمُ جيداً، أنني لن أنامَ أبداً، ولكني أردتُ أن أبقى لوحدي، أفكارٌ تذهبُ بي وأخرى تأتي بي، لا شيء يساعدني على نسيانك، ولا شيء أستطيع أن يشفي داء قلبي المنكسر.

ليتكْ يا أُمي تعلمين بما يؤلم قلبي، ليتني أستطيع أن أقول لكِ كل ما لا أستطيع قوله لنفسي، أمي الحياة تريد أن تجعلنا نلتقي ولكنني أتفادى كل ما يتعلق به، حتى الطريق الذي يوصلني إليه لا أعبره، فقط لا أريد أن ألقاه، لا حلمًا، ولا واقعًا، ليس كرهًا، وإنما حزناً.

لماذا يجب أن نلتقي، لماذا سترتب لنا الأقدار لقاء لا نريده، لماذا؟!

ماذا لو لم نلتقِ؟!

صدقني كنتُ الآن بخير، وقلبي بخيرٌ أيضًا؛ فأنا لم أُعطيه لأحد، لذا سيضلُ بخير دائمًا، كنت لا أشكي فراق دونِ وداع، وكُسر قلب لن يُجبرُ أبدًا، يظنون أنه من زجاج ويستطيعون استبدال قلبي المنكسر بقلب جديد، ولكنها روحي التي تدمرت.

ماذا لو لم نلتقِ؟!

لم يكن الحب في طريقي، كنتُ سأمضي كعادتي لا يوجد شخصٌ في حياتي، سأكون سعيدةٌ جداً مع ذاتي، كنت لا أشكوا تعب الطريق الذي سلكته من أجلك، وليتك علمت معنى من أجلك.

ماذا لو لم نلتقِ!

ربما نحن نسلك ذات الطريق، كالرياضيات خطانا متوازيين لا يوجد لهما نقطة؛ كي يلتقيا فيها، ليتني لم أسلكُ ذات الطريق.

ليتني تأخرت في النوم بضع دقائق، ليتني وصلت إلى ذات المكان متأخرة كي لا يُتيح لنا فرصة اللقاء.

"ليتني لم أعرفك"

ذهبت البارحة إلى صديقتي، مررت من جوار منزلك، كم بدى لي الأمر مُضحكًا بعد ما كنت أريد أن أخطوا من أمام المنزل، كنتُ متلهفة لكي أعبر ذلك الطريق، الآن وبعد ما حدث! مررت بكل هدوء وكأن شيءٌ لم يكن أنتظره هناك، وكأني نظرت إلى أكبر هزائمي وانكسرت..

لا أعلم لماذا عيناي كادت أن تذرف الدمع،

فقد أصبحت أكثرهم بُكاءًا، بعد ما كنت لا أبكي بسهولة بل من الصعب أن أبكي، بعد خيبتي بك، أصبحتُ أبكي كثيراً ومرارًا، بسبب وبدون سبب، كل الأشياء تبكيني حتى أبسطها، حتى عندما يسقط كتابي أبكي، عندما أنظر إلى السماء ولا أرى القمر أبكي، عند تبكي ابنة خالتي أبكي معها.

بربك قل لي كيف أسترجع شخصي القديم، وكيف إلي أن أوقف تدفق الدمع من عيناي؟!

كيف لك أن تجعلني أحبك، ثم تدير ظهرك وتتركني!!.

مرحبًا:

هل ما زلت كعادتك لا تريد أن تحادث أحد، تذهب إلى العمل تؤدي كل مهامك، ومن ثم تعود إلى المنزل، هل لا زلت تقدس الأسود، وتجعله رفيقك في جميع أغراضك، وهل توقفت عن قراءة الكتب أم ما زلت تقرأها؟!

يراودني سؤال غريبٌ جدًا..

هل أنت الآن ستفعل بأحدهم كما فعلت بي، أم أنني ضحيَّتكَ الوحيدة، هل هناك قلوبٌ جديدة تريد أن تكسرها أم هو قلبي الأول والأخير، الذي كسرته بكل هدوء؟!!

كلنا نعلم أن النار تشتعل بسرعة، وبأنها عندما تشتعل تحرق كل شي أمامها، عندما يقترب منها أحد تحرقه وتترك أثر أيضًا، تلك النيران بعد أن تحرق كل شي، وتحرق نفسها أيضًا تصبح رماد، بعد كل تلك الشعلة التي يُصعب على الجميع أن يخمدها، تنطفئ بمفردها وبدون مساعدة من أحد، ولكننا عندما نتركها كي تهدأ

بمفردها نخسر، نخسر الكثير؛ فكل شيء قد احترقَ معها وأصبح رماد، فبماذا سيفيد الرماد المتناثر، الذي يذهب مع رياح النسيان، يذهب مع رياح الشوق الذي لم يكن لهذا الشوق لقاء، لا أحد يعلم مدى قسوة تلك النيران التي لا تهدأ، لا تهدأ أبداً..

أنت من أشعلتَ تلك النيران في قلبي، ولم تدرك مدى هذا الألم، ولكنها لم تحرقني لوحدي، وإنما تحرقُ كل شخص يقترب من تلك النيران، لكنك لن تستطيع إطفاء كل تلك الشُعلة التي بداخلي.

و لا تنسى بأن لك الجزء الأكبر من تلك النيران.

غادرتني بهدوء، لم تخجل من كل الحب الذي قدمته لك، أنسيت ضحكنا، وحديثنا سهرنا؟! هل هانت عليك كل أيامنا الجميلة؟! كنا حنونين جداً على بعضنا،أنسيت وعدك لي بالبقاء أم أنهُ تلاشى مع أول رياحٍ هبت، تمنيت العمر معك، لكن الظروف حكمت أن نفترق ولا نعود أبداً،

قد حُكمَ عليا أن أحبك وأنحرم منك، أن أُعطيك قلبي وأنت تستهين به بعدما كسرته..

قمري، لم يكن هذا الفراق لائقًا بحبنا!

مرحبًا

كيف حالك يا قمري؟

أتعلم أنني أتذكرُ جميع تفاصيلك، أنت الوحيد الذي تعلم أنني أكذب عندما أقول سأنساك، و بأنني سأكرهك وسأفعل كما فعلت أنت، ما زلتُ أحبك، وما زلتُ لا أستطيع نسيانك؛ فكل شيء حولي يذكرني بك، هل تعلم أنني ما زلتُ أتذكر ضحكتك التي تبدو هادئةً جداً، وأتذكر صوتك وأنت تخبرني عن شيء بصوت منخفض كعادتك، وبخطواتك التي أستطيع أن أًميزها بين جميع العابرين، أنت الوحيد الذي أستطيع أن أُميزه من بين الجميع، أيام كنت أكرهك؛ لأنني لا

أستطيع إخراجك من عقلي، وأيامٍ أخرى اشتاق إليك كثيراً، أيامٍ أكابر فيها بأنني استطعت أن أنساك، وأيام أعترف بأنني مهزومةً بك، ولا أستطيع أن أُمحيك من ذاكرتي، أنتَ من كنتُ أخشى فراقه، ولكن اِفترقنا..

لكني عندما رأيتك لأول مرة، لم تكن ضحكتك جذابة كما تبدو لي الآن، ولم تكن عيناك تلمع بسعادة كما كانت تفعل بعد ما تعارفنا، لقد كنتَ تسير كشبح هزيل، بعينان مظلمتان، وجسد خالي من روح، لقد كانت آثار الحزن تظهر على وجهك، لقد بدأ لي حزنك عندما رأيتكَ للمرة الأولى، أدركت أن هناك شيء يثقل عاتقك، ويجعلك لا تريد شيء من أحد، ولا تريد التحدث عما بداخلك لأحد..

لقد كنتَ كومة كتمان لا تتحدث عن أي شيء، لقد كنت أراك بعين قلبي، رغم أن الجميع يراك انطوائي وبأنك متوحد، كنت أراك أجمل شخص التقيتهُ في حياتي، وبأن صفاتك تلك تسعدني كثيراً، لكنك وبعد أن جعلتني لا أريد سواك، وبعد أن قطعت لي وعداً بأنك

لن تتركني، ذهبت تلك الوعود سراب، كلها تلاشت في لمح البصر.

إنها الساعة الثانيةَ عشر بعد منتصف الليل، لم أستطع النوم، يراودني شعور أنكَ بجانبي، أتمنى لو أنني أرجعُ إلى الوراء..

إلى تلك الأيام عندما كنت أحادثك وكأن لا شيء قد حدث، لقد انتهى قبل أن نجتمع، انتهى قبل أن تراني أحبك في الواقع، انتهى قبل عيد ميلادك، لا أستطيع أن أتمنى لك عامًا سعيدًا بعد الآن! كم تمنيت أن أحتفل بعامك التاسع والعشرون، وأن تحتفل معي بعامي التاسع عشر، تتمنى لي عامًا سعيدًا. أُحاول أن أكتب عنك دون أن أبكي، لكن دموعي تسقط رغمًا عني، عُدنا غريبين! تأكد من أني لن أُحبُّ أحدٌ من بعدك؛ فأنت أجمل شخص التقيتهُ في حياتي وأول حبًا لي، وأول كسرًا لي أيضًا، كُن بخير من أجلي!!!

دعني أُخبرك بما يحدث لي في غيابك،

أعلم أنك لا تهتم بما حدث لي، وبأن كلماتي ستذهب إلى العدم، غيابك اِستهلكني كثيرًا، لقد مرت شهور وأيامٍ ثقيلة جدًا على قلبي، لكن الوجع الذي خلفه غيابك يضاهي عمرًا من الذكريات، فقدت فرحتي، ومر حُزن العالم بأسره، ومرت الأيام سوداء لم أكن مع أحد، ولم يكن أحد معي.

لأول مرة بعد سنين الخوف من الحب، وأن لا يكون هذا الحب إلى جانبي، تعرضت للخذلان؛ فأصبحت أنحبُ وأبكي..

لم أعد أطيق أن أذهب برفقة أصدقائي، أشعر وكأنهم يروا انكساري بك، وحبي الكبير فيك، أعلم أنهم

يريدون مني أن أنساك، وأن أكمل حياتي، وأن أرجع إلى شغفي وحياتي السابقة، إلى جنوني ولعبي وضحكي المستمر، الآن حتى ابتسامتي اختفت تمامًا عن وجهي.

تأتي صديقتي وتخبرني وتصرخ كثيراً، وتقول لي: أنها كانت غلطتي منذ أن وثقت بك، بعد أن تصرخ وتنظر إلى عيناي التي باتت أن تسقط دموعي تأتي وتعانقني بقوه، وتخبرني بأنني قوية وكل من يراني يقول لي كم أنا قوية.

أُجزم أنهم إن رأوني الآن لن يصدقوا بأنه أنا تلك الفتاة القوية، التي لا يكسرها شيء.

قمري،

نجمتك تشتاق إليك كثيراً..

رأيتك للمرة الثانية منذ فراقنا، ولكني لا أعلم هل أسعد لأنك لا تراني، أم أحزن لأني لا أستطيع التحدث إليك وأظهر أمامك بكل قوه.

رأيتك حزينٌ كأول لقاء بيننا عيناك حزينةَ أضعاف ذلك الحزن.

عندما رأيتك لقد كنت على وشك البكاء إلى حد الجنون، حاولت أن لا أبكي وأن أكتم دموعي ولكنها خذلتني وسقطت، سقطت بغزارة، لم أستطع منعها أبدًا.

ليتك تعلم بهذا الشعور الذي يداهمني، أنه شعور مؤلم كثيراً، يجعلني أصرخ بكل قوتي ولكن بدون صوت، أُقسم لك أنني لا أستطيع تفسير ما يحدث لي، أريد أن أراك، ولا أريد أن أُقابلك، أحبك كثيرًا، ولا أحبك أيضًا، لا أعلم ما كل هذه التناقضات.

أشعُر وكأنني على وشك الموت..

قمري

هل هذا فراق مؤقت أم أننا لن نلتقي مجدداً، هل انتهى كل شيء فعلًا! صدقني لم أستطع تحمل غيابك وتركك لي، إنني حقًا متعبة. ألم أخبرك بأني لا أحب الفراق، ولا أحب أن يتركني أحد فلماذا تركتني،

من قال أنني لم أحبك، أحببتك بذلك الإنطفاء، وبذلك البرود، أحببتك بشرودك، وبحزنك، أحببتك بملامحك الباهتة التي أتعبها هذا الزمان، أحببتك كما أنت عليه،

أحببتك حقًا يا قمري المنطفئ..

لا بد من هذا اللقاء، مهما حدث!

ذهبت وأنا أعلمُ جيدًا بأني سألقاك لذا لم أتردد ثانيةٌ واحدة، أخبرتني أمي بأن أذهب معها،

لم أقل لها شيء مضيت معها، عندما وصلت توقفت قليلًا تذكرتُ كل شيء، تذكرتُ أول يومٍ التقيتكَ فيه، مررت وقلبي يُخفق بقوه،

مع كل خطوة أخطوها أشعر بشيء غريب جدًا، إحساس لا أستطيع تفسيره، مررت ثم رأيتك، رأيتُكَ بعد تلك الشهور التي تخلوا منك.

تمنيت لو أنك حدثتني، تأتي إلي، نظرتُ إلي بغضب بحزن، لا أعلم هل أنت اِشتقت إليَّ كما أنا اِشتقتُ لرؤيتك، لم تكن تنظر إلى عيناي، عندما أشيح بنظري عنك، وقتها أنت من ينظر إلي وكأنك تصارع كبريائك، تريد ولا تريد..

قل لي إن كنتَ قد أحببتني حقًا، فلمَ تركتني؟!

لقد بكيت كثيرًا كعادتي منذ رحيلك، وأنا لا أستطيع أن أوقف تدفق عيناي،

عندما عُدت إلى المنزل شعرت بأن هناك شيء يمزق قلبي يؤلمني كثيرًا، بكيت وبكيت، لم أستطع التوقف عن البكاء، نظرت إلى السماء فإذا بها تبكي أيضًا أنها

تبكي معي، ربما هي أيضًا تعلم حزني وكسري، تعلم بأني مهزومةٌ بك؛ فإذا بها تبكي تواسيني أيضًا.

العالم بأسره يحاول أن يواسيني ويساندني، ولكنك تركتني ورحلت..!

جميعهم يحاولون، وأنت لماذا أدرتَ ظهرك لي وتركتي مع صورك التي تبتسم لي، أنظر إلى صورك أتحدث وأتحدث إلى أن أبكي! حتى أنني أشعر بأن في يومًا ما سأفقدُ بصري بسبب هذا البكاء الذي لا يتوقف.

لا أريد شخصًا آخر سواك، لا أريد أن يأتي شخصًا آخرًا إلى حياتي، إما أنت أو العدم، لا أريد حبًا بعد حبك، ولا أريد اهتمامٌ بعد اهتمامك، تركتني مع ذكرياتك، وصورك، ورسائلك، وأغراضك!! تركتني مع كل شيء لك،

لكني موافقة على هذا، موافقة على أن أعيش بقية حياتي مع طيفك وذكرياتك.

إن كنتَ تحبني حقًا، لماذا كسرتَ قلبي وهو يحبك؟!

هل حقًا بعد كل هذا الحب،

اليوم أخطوا من جانبك كغريبة، بعد أن كنت أبتسم عندما أراك وأنت أيضًا تبتسم، اليوم مضيتُ من جانبك وكأن لا شيءَ يحدُث، حتى أنت لم تتفوَّه بأيَّ كلمة، هل أحسست بما يؤلمني، أشعرت بذلك الذي

يعصر القلب ويؤلمه كثيرًا! ما أصعب أن تمر بمن هم يسكنون يسار صدرك، كغرباء، وكأنهم لا يعنونَ لك شيء.

أُقسم لك بأنه شعورٌ سيءٌ جداً، تمنيت لو أنني مُت، ودُفنتُ تَحتَ التراب بدلًا من هذا اللقاء والشعور الموجع..

لقد أدركتُ أنك لم تحبني أبدًا، و بأني لا أعني لك شيء،

رباااه أنتَ تعلمُ كم أحبه، وبأنه الشخص الوحيد الذي لامسَ قلبي وروحي، وهو من أحب أن يهتم بي، لماذا لا أستطيع أن أوقّف هذا السؤال الذي يكاد رأسي أن ينفجر من هوله؟

لماذا الحب؟ لماذا الحب هو من خذلني؟ لقد كنت أمنع كل شخص يُقدم لي الحب، وعندما قبلت ورحبت به، خذلني..

آه يا قلبي كَم من الألم ستتحمل بعد، أَلا يكفي كُل هذا، ما الذي ينتظرك بعد؟!

قمري هل أنت سعيد الآن! هل تنام مطمئن القلب؟! هل تتذكرني أم أنك نسيتني فعلاً! أعجز عن التحدث عن ما فعلته بي.

أصبحتُ أعاتب القمر عندما أخرج وأنظر إليه، أتحدثُ إليه كثيرًا، وكأنه يسمعني، للحظة أشعر وكأني أُحادثكَ أنت وليس هو، أبدأ بالتحدث وأخبره كم أُحبك، ولا أريد فقدانك، ولكن مع هذا فقدتك!

نهاية حكايتنا إِنتهت دون أن ترضي أحد الطرفين. النهاية أصبحت مجبره عليها، إنظر إلى صورتك، هي تضحك وأنا أبكي، أتحدث إليها مراراً وتكراراً، ولكن دموعي تسبقُني.

الأمان الذي حضيته بقربك، لم أشعر به طوال عمري، لقد أعطيتني كل شيء بكل حب، والآن أخذت مني كل شيء وأخذت قلبي أيضًا، إنت قُمتَ بتدمير قلبي.

١١:١١

هل تتذكر هذا الوقت، عندما يأتي هذا الوقت كل منا يتمنى للآخر حياةٌ سعيدة وجميلة، مليئةً بالحب والحنان،

هل تلك السعادة كانت لأن تفارقني؟! أن تتركني أعُاني ليالي من بعدك، لقد كنتُ أقرأ رسائلك بكل حب، وكأنها زهورًا تنبت في أراضي قلبي، كم قلت وراهنت على أنكَ أجمل من قابلتهم! لكنكَ خيبت آمالي..!

منذ أن أخبرتني بأنك تحب القمر،

أصبحتَ قمري، وعندما أخبرتك بأنني أحب النجوم كثيراً، لقد قلت بأنني نجمتك الوحيدة،

ولكن هل رأيت قمرًا يتخلَّى عن نجمته؟!

لشدّة حبي بك، وللقمر إشتريت عقدًا على شكل قمرٍ جميل، يضل في عنقي دائمًا، وأشعر وكأنك معي، وفي الليل أتحدث إليه كثيرًا عنك وعني، وعن كل شيء جمعنا.

عندما أذهب إلى النوم، وأجعل الضوء خفيف؛ كي أنام، أنظُر إلى العقد الذي في عنقي وإذا به يضيء، يذكرني بك عندما أخبرتك بأني أخاف الظلام، وأخافُ أن أجلس بمفردي، أخبرتني أن لا شيء مُخيف وبأن الظلام جميل،

لذلك القمر يضيء لي، ويتمنى لي ليلةً سعيدة وأحلام جميلة،

تمنيتُ لو أنكَ من يضيء لي عُتمتي، وتتمنى لي ليلةً سعيده!.

إلتقيتُ اليوم بإحدى صديقاتي، أخبرتني عن تعاملك معهم، وبأنك لا تضحك معهم وأنَّما تؤدي عملك، ومن ثم تذهب إلى المنزل، لا تتحدث كثيراً.

أحسست بالذنب لوهلة، رغم أنك من كان سبب هذا الفراق، وبأنك من طلب أن تتركني وتذهب،

ولكني لا أريد أن تحزن، ولا أريد لوهجك أن ينطفئ مرةً أُخرى، لا تحزن أرجوك، أريد أن أراك سعيد، حتى وإن لم تكن معي، لتبقَ بخيرًا دائمًا. لا تجعل عيناك حزينة، ولا تكون ذلك الشخص المنطفىء.

أتمنى لك أيام وليالي سعيدة، خاليةً من الحزن.

حروفك، وكلماتك،

هل نسيتها أيضًا؟ هل نسيت كل تلك الكلمات التي كتبتها لي، وحتى دمُّكَ هل نسيته؟ هل حقًا تجاوزتَ كل هذا، وكل شيء مجرد خُدعه، كيف استطعتَ فعل هذا، عندما تستيقظ لا تتذكرني حقًا، وعندما تذهب إلى عملك لا تتذكر أنني التقيتكَ يومًا في ذلك المكان، وعندما تخلد إلى النوم، لا تشتاق إلى أن أقول لكَ ليلةٌ سعيدة،

كيف اِستطعتَ نسيان الأيام، وكيف استطعتَ نسياني بتلك السهولة؟!

قمري إنني متعبة حقًا، دعني أخبرك بأني أحبك كثيراً، وبأنك الشخص الأول والأخير، الذي أعطيته قلبي، دون تردد....."

آخر لقاءٌ بيننا، وآخر مشوار قضيناه مع بعضنا.

لقد ودعنا بعضنا، ونحن على يقين بأنَّ لا أحد منا سيتخلى عن الآخر، وبأننا سنكمل الطريق.

لقد قلت لي بأنه اليوم الآخر لنا، وبأنَّا سنلتقي ولكن بعد مدة طويلة، أخبرتك بأننا سنلتقي في النهاية، وبأنها أيامٌ قليلة وستمضي، ولكنها مضت ومضيت أنت معها، وبقيت أنا أبكي وأنحُب.

أصبحت شاردة الذهن، لا أفكر إلا بك، وبما فعلت، أسئلةٌ كثيرة في رأسي لا أجدُ لها أي إجابة؛ فكل الإجابات لديك أنت وحدك،

ولا أعلم متى ستأتي تلك الأجوبة كي أرتاح.

الأصعب من فقدان شخصًا تحبه، هو التفكير به، التفكير بذلك المجهول الذي لا تعلم إلى متى ستحاول التأقلم على غيابه، لا تريد أن تبكي، ولكنك عند أول ذكرى تذرف الدمع بلا توقف،

أكثر ما يؤلمني هو أنكَ لم تذهب عندما كنت متأكدة من ذهابك، لم تذهب عندما كنت أخشى فراقك، وأتأملُكَ بخوف فقدانك.

رحلت عندما انتصرت أخيرًا على خوفي، كنت مطمئنة؛ لأنك ستبقى للأبد.

ما أبشع أن يفزع المرء من المكان الذي لطالما أُمَّنَ فيه.

رحل قمري، ورحلَت أيامي الجميلة معه!

قمري، الليالي تأتي وأنا بمفردي، يأتي لا مرحبًا، ولا كيف حالك، ولا ليلة سعيدة.

أخبرتك مراراً بأنَّ البدايةَ كلها جميلة، وبأنَّ الحب ليس سوى البداية فقط، ولكنك أصريتَ على أن تجعل الحب في نظري جميل، وبأنك تحبني كثيراً، عدت إلى تلك الفتاة التي لا تؤمن بالحب، وعُدتَ أنت إلى بؤسك وحزنك،

أن أبقى في انتظار شيء لن يأتي، هذا بحد ذاته ألمٌ بشع وكأن الكون كله ضدك!!

ماذا لو أنهينا أغسطس بللقاء؟!

حدثتُ السماء عنكَ كثيرًا، وكنتُ أُخبرها بأنكَ لن تنساني، وبأنك ستأتي؛ لأنك تحبني ولن تتخلى عني.

والآن! عندما أنظر إلى السماء، أشعر بأنها تريد مواساتي، وتريد أن تحاول تخفيف عني، فخذلانك لي

كان صعبًا للغاية، لا أعلم كيف سأتخطى كل هذا، عندما أبدأُ بالبكاء، تبكي السماء أيضًا، حتى القمر يذهب حينما يرى بؤسي الشديد وبكائي الذي لا ينتهي.

أستودعتك الله يا قَمري، يا أحبَّ الأشخاص لقلبي، أعلم أنني أحببتكَ حقاً ولا زلتُ أحِبُّكَ رغم كل ما فعلتَهُ بي..